تطور القصة الاسبانية

بقلم : خيري حماد

قليلون منا هم الذين يعرفون ان القصة بلغت شأوا بعيدا في الأدب الاسباني ، وان هذا الشأو الذي بلغته لم يقتصر على الارض الاسبانية وحدها ، بل تعداها الى العالم الكبير الذي يتحدث بالاسبانية ، والذي تمثله هذه الجمهوريات الكثيرة العدد فيما يسمى بامريكا اللاتينية ، اى في الامريكيتين الوسطى والجنوبية . ولعل السبب في هذا الجهل من جانبنا ، هو ان عدد من يعرف الاسبانية منا قليل للغاية ، واننا نعتمد في معرفتنا بما لاسبانيا من ادب وثقافة ، على الترجمات الكثيرة التي نجدها في اللغات التي نعرفها كالانجليزية او الفرنسية — لكن الحقيقة التي يجب ان نعرفها ، وان تكون واضحة لكل من يشتغل بالاداب العالمية ، هي ان القصة الاسبانية بلغت منزلة رفيعة ، وان هذه القصة الحديثة ، يمثلها عدد من كبيرة القصصيين الذين رودوا القصة العالمية بروائع تعتبر من خير ما ظهر في الآداب الغربية في القرون الاخيرة .

ومن أبرز هؤلاء القصصيين الاسباني رامون ديل فاليه — انيكلان المتوفى في عام ١٩٣٦ ، وقد اشتهر بقصة « شقيقتي انطونيا » ، والارجنتيني لويس بورجيس الذي توفي منذ عامين وصاحب القصة المشهورة « المعجزة الخفية » ، والجواتيمالي كارلوس ويلد اوسوريا ، صاحب قصة « شرف البيت » ، والاورجواني هوارشيو كويروجا صاحب قصة « الوطن » ، والكوبي ليبو بوفاس ، كالفو ، صاحب مجموعة « القمر » القصصية ، والمكسيكي الشاب ارنورو سوتو الاناركي صاحب القصة المشهورة « رقم ١٣ » وغيرهم كثير ، من ارواع القصصيين على الصعيد العالمي .

وهناك حقيقة واقعة ، يعترف بها مؤرخو اسبانيا ونقادها — وهي ان الادب الاسباني يستمد جذوره من الحضارة العربية ، يوم كانت مزدهرة في غرناطة وقرطبة وطليطلة . فلقد نقل العرب الى الحضارة العالمية عن طريق الاندلس في العصور الوسطى ، يوم كانت شمس الحضارة العربية تسطع على العالم المعروف بأسره ، بينما تغط اوروبا في سبات الجهل والظلمات ، حضارتهم العربية الاصيلة ، بالاضافة الى الحضارات العالمية القديمة ، التي كان لهم شرف حفظها وتهذيبها ونقلها ونقلها من الاغريق والفرس والهند والصين ، لتكون من الحضارة العربية ، اسس الحضارة العالمية الراهنة وقواعدها — ولم يقتصر ماتقله العرب على الفلسفة والعلم ،

وايما نقلوا ايضا ، اروع القصص التي من امثال قصص كليلة ودمنة ، والسندباد ، والف ليلة وليلة ، مما كان له ابلغ الاثر في النهضة القصصية الحديثة في العالم ، اذ تحل واضحا في مجموعات قصصية كثيرة ظهرت في مختلف اللغات الاوروبية وبينها الاسبانية بالطبع .

ولقد كان الفونس المسمى بالملك الحكيم ، في قشتاله ، هو اول من عمل على اقتباس حضارة العرب وثقافتهم ، فقد حشد في بلاطه ، العلماء والمفكرين ، ينقلون الى اللغة القشتالية ، الكنوز العلمية والادبية من العربية . وكان هذا الملك هو الذي امر بترجمة قصص كليلة ودمنة ، في عام ١٢٦١ ، ميلادية - ولم ينقض عامان حتى كان شقيقه دون فريدريك يأمر بترجمة قصص السندباد ايضا ، ليتبعها بمجموعات قصصية كثيرة اخرى -

وفي مطلع القرن الرابع عشر ، ظهر اول قصصي اسـبـاني ، ابتكر القصة الاسبانية الحديثة وخرج بها الى حيز الوجود ، وهو الدون خوان مانيـويل - فقد عكف هذا الفنان على القصص القديمة التي قرأها او سمع بها ، وراح يعيد كتابتها بطريقته المبتكرة ، التي مثلت المرحلة الريادية في تاريخ القصة الاسبانية . اذ ان مجموعته « الكونت لوكانور » كانت المثل الذي احتذاه الكثيرون من القصصيين الاسبان طيلة القرون التالية . وبالرغم من ان مادة قصصه قديمة ، الا انه احالها الى خلق جديد ، فلم تعد نتاج تلك العقول المجهولة التي لايعرف صاحبها أوخالقها ، وانما باتت الصور الحية التي يرسمها فنان يجد في تراث الماضي مادته التي يستمد منها قصصه التي تجمع بين العبر والدروس والحكم ، والتي يستشف القـارىء وراءها - تصقا في فهم الطبيعة الانسانية . وقد ذاع امر هذا الكتاب ، وسرعان ما انتقل الى اللغات الاوروبية الاخرى ، ويقال ان شكسبير استمد مسرحيته الساخرة « ترويض الناشز » من احدى قصص مانيويل ، وعنوانهـا « الرجل الذي تزوج امرأة سيئة الخلق » .

وبانتهاء عصر مانويل ، بزغ فجر عهد النهضة ، لا في اسبانيا وحدها بل وفي القارة الاوروبية كلها . وكانت القصة القصيرة ، قد تطورت على الصعيد العالمي ، من سرد الاقاصيص القديمة ، الى التعبير عن رؤى الكاتب وخيـالاته - فنحن نرى الآن موضوعا تتضمنه القصة ، يتناوله الكاتب باسلوبه الفريد ، وقدرته على تحديد الرؤى السابقة ، واضفاء ثوب قشيب عليها من الاحساس بالجمال .

ولان مثل بوكاشيو في مجموعة قصصه الخالدة « ديكاميرون » ، هذه النهضـة في ايطاليا ، ومثلها شـوسر في مجموعته « قصص كانتربري » في انجلترا ، فان ميجويل دي سيرفانتيس ، صاحب القصة المشهورة « دون كيشوت » ، هو الذي مثل عصر النهضة في اسبانيا ، بقصته هذه وبمجموعة من القصص القصيرة التي تعتبر المولد الحقيقي للقصة الاسبانية القصيرة ، ضمنها كتابه « روايات نموذجية » - وقد ادرج سيرفانتيس في هـذه المجموعة التي نشرت لأول مرة في عـام ١٦١٣ ، اثنتي عشرة قصة متفرقة ، لاعلاقة للواحدة منها بالاخرى ، وتتناول مواضيع شتى ، تعرض

بصوره جيده عبقريه ثانيها القصصيه التي خلفه في مصاف ادباء العالم المشهورين ولا يعني هذا على الاطلاق ، ان سيرفانتيس لم يعد من سابقيه ومعاصريه ، بل افاد منهم الكثير مقتبسا عنهم بعض صورهم ، واسلوبهم المثير بالمرونة والاناقه ، ولا ريب في ان عبقريته هذه هي التي دعته الى ان يزهو بنفسه في مقدمة مجموعته ، اذ يقول ... « انا اول من يضع القصص في لغة قشتاله ، اذ ان معظم القصص التي تطبع في الاسبانية مترجمة عن اللغات الاجنبية ، بينما هذه القصص هي من وضعي ، لم اسرقها من احد ، ولم اقلد فيها احدا فعبقريتي ، هي التي ابتكرتها ، وقلمي هو الذي طلع بها الى الحياة » .

وسرعان ما انتشرت هذه القصص وذاع امرها ، ولم تمض سنة ، على صدورها حتى كانت تترجم الى الفرنسية فالانجليزية والالمانية . وكان بعضها يتناول قصص الفروسية ، والبعض الآخر من طراز قصص النقد الاجتماعي ، بينما تناول البعض الثالث الدراسات النفسية ، او المغامرات الخارقة للعادة ، او هذه النواحي مجتمعة الى بعضها .. وهي تجد المثل السامية التي يعمل الفن الانساني على الوصول اليها ، والتي يحقق بعضها في معظم الحالات ، وهي شمولية الحياة بما فيها من تناقضات ، واضطراب وبشاعة وجمال ، ومزج بين الواقعية والمثالية . وقد احس كبار الكتاب الاسبانيين في مختلف عهودهم وعصورهم ، ان في ابناء مجتمعهم ، المادة الدائمة التي يستطيعون ان يصوغوا فنهم منها ، وقد برز من هؤلاء الكتاب في القرنين السادس عشر والسابع عشر عدد من المشهورين من امثال لوزو دي مولينا وسالاس باراما ديلو ، ومارينا دي راياس .

وظهر الاتجاه الرومانطيقي في القصة مع حلول القرن التاسع عشر ، وتمثل هذا الاتجاه في صور قصصية ، تتناول الاجواء وطرائق السلوك ، واوساط المجتمعات . اما الصورة الثانية لهذا الاتجاه ، فقد تمثلت في القصص التاريخية المحلية شعرا ونثرا . وبالرغم من أن هذا الطراز من القصص كان عاما في العالم في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، الا انه عاش في الادب الاسباني سنوات ما كان منه في اسبانيا نفسها أو في أمريكا اللاتينية مدة أطول . فالقصة المحلية ، هي شكل آخر من اشكال التعددية ، التي تعتبر سمة مميزة من سمات الشعب الاسباني، فلكل مدينه أو بلدة في اسبانيا ، أساطيرها الخاصة بهـا بل ولكل حي من الاحياء ، او شارع من الشوارع قصصه ورواياته ، وهي المادة التي يستقي منها الكتاب مصادرهم ، ويصوغون منها فنا قصصيا رفيعا .

ويمثل ريكاردو بالما ، كاتب بيرو الاشهر في القرن التاسع عشر ، هذه المدرسة القصصية خير تمثيل . فهو في سلسلة قصصه التي اسماها « تراث بيرو » والتي نشرت في مستهل القرن العشرين ، يخلق عالما جديدا من ماضي بلاده وتاريخها . وهو في القصص التي يرويها يحمل من ليما ، عاصمة بيرو ، أو غيرها من المدن المحور الذي تدور حوله هذه القصص ، التي يسردها وكأنها وقعت بالامس ، ويكتسب بذلك قصص الماضي البعيد حيوية وحدة ونشاطا .

وادق حلول عصر الواقعية في الادب الاسباني في نهاية القرن التاسع عشر الى اندفاعات حيوية ضخمة في الصور القصة . وينقسم هذا العصر الى فترتين ، اولاهما فترة الجيل الأول التي بلغت ذروتها حوالى عام ١٨٧٠ . وبالرغم من ان الرواية الطويلة كانت الصورة الغالبة على هذه الفترة ، الا ان بعض الادباء ، اكبوا على القصة القصيرة يمارسون كتابتها وفي مقدمتهم بيدرو أنطونيو دي الاركون ، الذي اشتهر بقصة التي داع صيتها وهي « القبعة ذات الزوايا الثلاث » . وقد طلع بيدرو على العالم بمجموعات ضخمة من الاساطير والقصص التاريخية ، والحكايات التي تصور العروض والسحر والفرح ، مدللا بذلك على تأثره البالغ بالقصص الانجليزي المشهور البكراندرو .

لكن القصة القصيرة لم تحقق امجادها وروائعها في الادب الاسباني الا في الفترة الثانية ، التي شهدت مولد الجيل الجديد من الكتاب في مستهل القرن العشرين . وقد ادى زيادة مجالات النشر للقصة القصيرة في الصحف والمجلات ، الى وجود الحافز الكبير على التوسع في انتاجها ، فظهرت جمهرة من كبار القصصيين في مقدمتهم اميليا باردو زاوان وبالاثيو فالديس وليوبولدو الاس وبلاسكو ايبانيز وغيرهم كثر . وكان هؤلاء الكتاب هم انصار الطبيعة في الادب الاسباني وان كان من الواجب القول ، بأن هذا الاتجاه الوجودي الذي برز بصورة خاصة في الادب الفرنسي ، لم يجد جذورا عميقة له في الادب الاسباني .

فالجمود ، والعزلة ،والملاحظة العلمية ، والترفع ، وغير ذلك من مظاهر الطبيعة في الادب ، لاتتفق مع المزاج الاسباني . فالاسباني الاسباني لايفتقر الى البصيرة الخالدة والاستشعاف البعيد في صور الطبيعة ومرئياتها ، ولكنه دائما ، يمزج هذه الصور الجامدة ، بشيء من عواطفه الدافقة المتحركة . و لايرى الكتاب الاسباني في الانسان حقيقة مطلقة ، او دمية لاحول لها ولا طول ، تتلاعب بها قوى الاقدار التي لاسيطرة لها عليها ، وانما يرون فيه فردا ، فيه جميع مظاهر الضعف والقوة ، وله هزائمه وانتصاراته . وحرية الارادة عند الاسباني ، تأكيد جديد لفرديته ، وهي حر لا يتحرا من العقيدة التي تأصلت في نفس كل اسباني رغم الظروف الحياتية السيئة التي عاشها في ظل الديكتاتوريات المتعاقبة .

وظهرت بواكير الثورة في الخمسين الاوليين من القرن العشرين على الواقعية والطبيعية في الادب ، في كل مكان في العالم . واتصلت هذه الثورة الى القصة الاسبانية ، فظهر امثال اوناموثو وباروجا وفاليه ـ انيكلان . وفي قصص هؤلاء الكثير مما يتفق مع اذواق عصرنا الحديث الذي نعيشه الآن . ولم يعد الاسلوب الادبي ، مجرد وسيلة يعرض فيها الكاتب طبيعته ، بالنسبة الى المكان الذي يعيش فيه ، والزمن الذي يحياه ، وانما بات ايضا الابتكار الذي يستهوي ذوق القارىء ويدعوه الى التجاوب معه . وقد تميزت قصص هذه الفترة ، بالطابع الذاتي الغالب ، الذي يؤكد بصورة عاطفية ، شخصية الكاتب وقواعده الفنية . ولعل هذا الطابع

نفسه ، هو الذى يخلق التفاوت الكبير بين كاتب وآخر . ولم يعد موضوع القصة وحبكتها هما اللذان يستهويان القارىء فحسب ، وانما يستهويه ايضا اسلوب الكاتب ، وطريقته ، وتجاوبه مع احاسيسه وعواطفه ، ذلك التجاوب الذى يدفعه الى اختيار الموضوع الذى يفصل غيره من المواضيع فى الانسجام مع مزاجه ، واتجاهه واحاسيسه .

فى امريكا اللاتينية

ولم تعد القصة الاسبانية ، ممثلة الآن فيما يكتبه الكتاب الاسبان وحدهم ، وانما انتقل الشطر الاكبر من تمثيلها الى الانتاج القصصى فى جمهوريات امريكا اللاتينية . ولا ريب فى ان الروائع التى صدرت عن الكتاب الامريكيين الاسبان فى هذه الفترة تعتبر من غوالى الدرر فى الادب الاسبانى فى مختلف عهوده وعصوره . وفى هذا يقول خوزيه مارتى ، الكاتب الكوبى المشهور .. « لقد أعطتنا اسبانيا لغة عظيمة رائعة . ولكن ليس فى وسعها ان تشكو او ان تندمر ، من اننا لم نكن جديرين بها .

وكان الاسبانيون الذين ارتحلوا الى العالم الجديد ، ابان العهد الاستعمارى ، وذريتهم . قد خلقوا فى مهاجرهم أدبا جديدا يتميز بالابتكار والاصالة ، بالرغم من الحقيقة الواقعة ، وهى انهم ساروا فى ادبهم هذا ، على خطى الادب الاسبانى نفسه ، متأثرين بصوره واتجاهاته ، نظرا لما يقوم بينهم وبين اسبانيا من ترابط واتصال ، يشمل الاخلاق السياسية ..والحياتية كلها ، وما كادت هذه البلاد تنعم باستقلالها ، لتغدو جمهوريات قائمة بنفسها ، حتى اخذ ادبها يعكس تأثيرات اخرى تختلف كل الاختلاف عن تلك التى كانت تؤثر عليها فى الماضى ، والتابعة عن العلاقات بين اسبانيا ومستعمراتها عبر المحيط الأطلسى . لكن ظروف النضال السياسى والصراع فى سبيل التحرر . خلقت اتجاها خاصا فى الادب الامريكى الاسبانى تمثل فى الاقبال على الشعر والادب السياسى ، لانهما خير ما يصور احاسيس الصراع والنضال، واقتصر الانتاج فى مجال الرواية والمسرحية والقصة القصيرة على محاولات متفرقة ومتفرقة ، لم يكن لها شأنها الكبير ، فى بلورة القصة الاجتماعية الطابع التى تعكس احاسيس المجتمع ، وتصور اوضاعه ، ناقدة ، او ساخرة ، وداعية الى الاصلاح أو الثورة الاجتماعية .

وسرعان ما ظهرت مجموعة من الكتاب الموهوبين والمتبصرين فى وقت واحد تقريبا ، فى مختلف الدول الامريكية اللاتينية فى مستهل القرن العشرين ، خلقت ثورة جديدة وقوية فى ادب المهجر ، ووضعت اسس القصة والرواية العصريتين — وقد تميزت كتاباتهم . تماما ككتابات اقرانهم فى اسبانيا فى الفترة ذاتها ، بالميزة الذاتية الشعرية .. ، وكانوا يشتركون رغم ما بينهم من فروق وتباين ، فى اتجاه واحد ، وهو البحث عن انفسهم ، ومحاولة تفهمها . وكان الشغل الشاغل لمعظمهم

تحديد معنى امريكا التي ينتمون اليها ، وعهدوا الى خلفائهم بمتابعة هذه الرسالة التي اخذوها على عاتقهم . وكانت الروائع التي صدرت عنهم في عالم الشعر وميدان المقال السياسي ، اكثر اصالة وابتكارا ، واقرب الى الخلود من ادبهم القصصي . ولكن لم تحل نهاية الحرب العالمية الأولى ، حتى طلع جيل جديد في كتاب الرواية والقصة القصيرة ، راس الجيل الذي تشهدته الولايات المتحدة الامريكية في الشمال . والذي خلق امثال دولكس وهيمنجواي ، وجعل من هذا الفن الأدبي ، بما فيه من احساس بالجمالية ، وشعور بواقع الحياة ، الطابع الغالب على الادب الاسباني الامريكي . كما خلق فيه روائع تعتبر في المرتبة الاولى بين القصة القصيرة المعاصرة . ولعل من الغريب ان يلاحظ المرء ، ان عصر ازدهار القصة والرواية في الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية والبرازيل ، قد راس عهد انحطاطها الى حد كبير في اوروبا الغربية .

ويبدو ان كتاب امريكا الاسبانية ، قد اخذوا نصيحة ستندال ميتر ، الاديب الفرنسي الكبير ، قبل نحو من قرن من الزمن ، عندما خاطب اصدقاءه ، محددا لهم الاسلوب الفني الذي يجب عليهم ان يتبعوه قائلا ... « القوا بنظرتكم الفاحصة الدقيقة على بلدكم وشعبكم . وادرسوا عاداتكم وطبائعكم ونظمكم ، تمعنوا في الاشكال القائمة عندكم ، واكتبوا عن كل ذلك ، بعاطفة صادقة محبة ، صادرة من اعماق قلوبهم ، وعاكسة ما تحسون به ، وما يحدث لكم ، وسيكون ما تكتبونه ، رائعا في محتواه ، حتى ولو احطاتم في اسلوبكم ، لأنه زاخر بالعاطفة ، التي تغطي على كل عيب ، ولو كان الافتقار الى الدقة ... وسيكون ما تنتجونه ، ادبكم ، سواء أكان جيدا ام سيئا »

وقد اتصل هؤلاء الكتاب المعاصرون بالعالم وعرفوه . وطاف بعضهم ارجاءه ، دارسا وباحثا ، ثم عادوا الى بلادهم يحملون نتاج تجاربهم ، وثمرة معارفهم ، وخلاصة اقتباساتهم من ادباء الآخرين ، ليطبعوا بذلك كله ، في نظرتهم الى عالمهم ، الذي لايرونه من خارجه ، كما يراه الاديب الواقعي ، وانما يقرأونه في قلوبهم ، ويحدونه في قرارة نفوسهم . وهم يصطرعون مع حقائق الحياة على عجرها وبجرها ، وحلوها ومرها ، باحثين عن اصالتهم ، رابطين انفسهم بمجتمعاتهم ، وبالارض التي يعيشون عليها ، والشعب الذي ينتمون اليه . وبكل مايواجهه هذا الشعب من أفراح وأتراح ، وآلام وأمنيات .

ويشترك معظم الكتاب المعاصرين ، رغم مايبنهم من فروق وتباينات ، في خيط مشترك واحد ، يبدو واضحا في جميع قصصهم ، وهو المثل الاعلى عند الانسان للجمال ، نابعا من جماليتهم ، ومن انسانيتهم ، ومن نظراتهم الصافية الى الحياة ، ولعل هذه الظاهرة هي الصورة البارزة الغالبة على الأدب الاسباني الحديث سواء في بلاده الاصلية او في مهجره . مع البساطة في المرئيات والحديث عنها حديثا بالغا عن النفس البشرية المرسلة على سجيتها .

ولعل القصة القصيرة التي نقلتها قبل بضعة اشهر الى العربية ، ونشرتها في هذه المجلة ، للكاتب الجواتيمالي ، كارلوس أوسـيا ، تقيم الدليل على صحة ما اقول ، فهي هذه القصة ... وعنوانها « صرت ملاكا » ، يتحدث الكاتب عن رجل متشرد افاق ، احنت السنون والهموم ظهره ، وعرصته متاعب الحياة لآلام التي كادت تحميها ، وتعوده قدماه بعد سنوات طويلة من العراق والشقاء ، والعذاب ، دون ان يدري الى البيت الذي تديره زوجته ، والذي تعيش فيه مع أولادها منه ومن غيره ، في خدمة سيده الاقطاعي ، وكان زوجها قد هجرها قبل سنوات طويلة .

ويلتقي الرجل بزوجته بعد هذا الفراق الطويل ، فتعرفه لتوها ، وتسأله ... ، متى خرجت من السجن ياخوان ... ؟ ... وتبدو في الحوار الرائع الذي يدور بين الزوجين ، والذي يتناول الحياة في جواتيمالا ، بكل ما فيها من بساطة وقاقة ، صورة مشرقة من الغنى الانساني الرفيع ، الذي يصور الواقع تصويرا رائعا ، بكثير من العاطفة المشبوبة ، التي تتجسد في تلك النبرة من الاحباش بالبكاء ، بعد أن استعادت الذكريات ، ما كان بين الزوجين من حب صانع .

واقام الرجل الكفيف النصر في المزرعة التي تعمل فيها زوجته ، واصبح موظفا فيها تحت اشرافها وادارتها . ولما كان من الطراز الذي يقوم بكل عمل ، ويتدخل في كل شيء ، ويتقن كل مهنة ، فانه سرعان ما اصلح كل باب ، ووضع كل قفل في موضعه ، وسمر لكل جواد حدوته ، ورمم كل شيء خرب ، واعتنى بكل زهرة مهملة .

وهكذا تحول هذا الرجل الذي عرف السرقة منذ صباه ، ومارس القتل والنهب وقطع الطرق في شبابه ، الى انسان وادع ، يحيا حياة هانئة ، ساخرا من الماضي الذي عاشه ، والذي نسيه الآن ، بعد ان طوت له زوجته صفحة الماضي ، وغفرت له ، وحفزته على العمل من اجل اسرته وولدها .

وانتصر الخير على الشر ، وتحول اللص القاتل الى رجل شريف ، لم يعد يسلب احدا ماله ، وانما يعمل ويكسب رزقه بعرق جبينه ، وان انفق وزوجه على ان يقتص من السيد الاقطاعي الذي يشتر منهما عرقهما وجهدهما ، حقهما الذي لايعرف به ، عن طريق السرقة .

واصبح خوان يفضل جهده وسهره ، مدير المزرعة ، التي تحسن فيها العمل وما بعد ان ساد النظام فيها . وقد مكنته خبرته السابقة كلص وقاطع طريق ورئيس عصابة من ادارة العمل بحزم وسياسة مرءوسيه ، ومنعهم من السرقة والغش والخديعة ، وتحول خوفهم منه الى ولاء وحب وعبادة ، لقوته ورجولته .

وننتقل بعد هذا الى صورة رائعة ، صورة الفتاة العاملة ، التي يتفجر جمالها الريان وهي ابنة ، فيطمع فيه السيد الاقطاعي ، بوصفه ، السيد المتحكم فيها وفي أسرتها ، وتقض هذه الحقيقة على خوان مضجعه لا سيما وقد لا يحظ ان زوجته تعمل وسيطا بين السيد وفتاتها ، طمعا في ماله .

ويفجر غضب اللص الثائب : انه لايستطيع قبول هذه الصفعه ، فيثور ، ويهال على زوجته يضربها ، ويدمى جسدها بلكماته وبركلاته ، ثم يحطمها وقد تورمت احراء جسدها .

وتتوالى الايام ، وهو يضربها فى كل يوم ، بينما تهدده هى بان السيد سيردهم جميعا من المزرعة ، اذا لم يدعن لرغباته المشبوهة ، ولكل حوان صامد فى موقفه لايتراجع ولا يلين اذ يرد عليها بقوله ... اذا كان الشرف يقوم على اشلاء مثل هذا العار فسأعود الى الطريق اقطعها ، والى الناس اسلبهم ما يملكون .. وبعض هذا الرجل ، اللص ، القاتل ، قائلا ... هذا هو الخطأ فى تعليم الناس معنى الشرف ، لقد سرقت ، هذه حقيقة ، وكنت وغدا ، وكاذبا ، ومنافقا ، وانا لاانكر ذلك ، فكل انم ارتكبته فى الماضى يجر فى نفسى الألم ، ولكنى لن أبيع قلبة كبدى ، قول عنى ما شئت ، فانا رجل شرير ، وسيىء ، ولكنى سأحافظ على شرفى ، وقد تقولين انى بليد ، ولكنى سأظل على هذه البلاده ، وقد انتهى نهاية اسوأ من البداية التى كنت فيها ، وعليك ان تدركى انى سأذبحك واذبح ابنتى واذبح السيد ، قبل ان يلوث شرفى ... انى لم امت بعد ...

وتعود زوجته الى مسيرها الغائب ... فتنهش بالبكاء ، وهى تقول ... لقد مات حوان الذى اعرفه ، بعد ان تحـــولت الى قديس او ملاك ... تورك فيك ياحوان

قصة فى منتهى البساطة ، ومعانيها فى منتهى الشيوع ، ولكنها تصاغ باسلوب رائع ، متحدة من الشرق هدفا وغاية تسعى اليه ...

هذا هو طراز الادب الاسبانى الحديث ... يصور الطبيعة ، ويصور تصارع العواطف البشرية ، ويسعى للوصول الى غاية ...

انه ادب سيتميز بالعواطف المشبوبة ، والفهم العميق للنفس الانســـانية ، ورشاقة الاسلوب ... وهو يصل الى غاياته عن طريق الربط بين ما يشغل الانسان ومجالات اهتمامه ، وحبه للحياة ...

ولعل خير تعريف له هو ما قاله الناقد المعروف فرى لويز دى ليون ... انه يمثل الجمال الحق ، الذى يقوم على ان يتصرف كل انسان وكل شىء ، وفق طبيعته وهواه .